رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى
منارات
manarat
العدد (4865) السنة الثامنة عشرة - الاربعاء (3) شباط 2021
www.almadasupplements.com

مصطفى صفوان

2 »
مصطفى صفوان.. ابن اللغة العربية الذى أقام فى فرنسا

3 »
مصطفى صفوان: التحليل النفسي أو الموت

4 »
إذا كان العرب لم يترجموا هايدغر فلماذا يترجموني؟

6 »
رحيل مصطفى صفوان .. عالم النفس المدافع عن الحرية

مصطفى صفوان.. إبن اللغة العربية الذى أقام فى فرنسا

شيماء شناوى

ولد «صفوان» بمدينة الإسكندرية، وتخرج فى جامعة فاروق الأول «جامعة الإسكندرية»، عام ١٩٣٤، بعد أن درس الفلسفة على يد كبار الأساتذة منهم: الدكتور يوسف كرم، والدكتور أبو العلا عفيفى ومنهم أحب الفلسفة. فى عام ١٩٤٥ قرر السفر لاستكمال دراسته العليا فى جامعة السوربون بباريس. عاد مرة أخرى للعمل فى الجامعة المصرية قبل أن يقرر الهجرة إلى فرنسا.

فى باريس ارتبط بعالم النفسى الفرنسى الشهير «جاك لاكان»، وأصبح من تلاميذه ومريديه. وعن حجم تأثره به يقول: «لفت انتباهى باهتمامه باللغة والكلمة ووظيفتها، ومن ثم تغير مجرى حياتى كله».

يقول الدكتور «صفوان»، إن أهم فرصة منحته إياها الحياة هو ميلاده فى عصر النهضة الثقافية المصرية، والحرية الفكرية التى تأسست مع أقلام كبار الكُتاب ابتدءًا من عبدالرحمن الرافعى، والعقاد، وطه حسين، والمازنى، وغيرهم. بالإضافة إلى انفتاح العالم العربى على الغرب وازدهار حركة الترجمة وإنشاء لجنة «التأليف والترجمة والنشر»، الأمر الذى جعل الكتب الأدبية والعلمية المترجمة تفوق النصوص الأصلية من حيث الجمال، حسبما صرح فى إحدى لقاءاته التلفزيونية المسجلة. ويرى شيخ علماء التحليل النفسى، أن أبرز المحطات الفارقة فى حياته، والتى شهدت أولى أزماته النفسية، كانت وهو بعمر ٤ سنوات لحظة إلقاء القبض على والده الشيخ الأزهرى، واقتياده من المنزل مجبرًا بتهمة «الشيوعية». وأن هذه كانت صرخته الأولى ضد الظلم. فيما حاولت الجدة محو آثار هذه الأزمة النفسية خلال السنوات الثلاث اللاحقة وحتى خروج والده من السجن.

انشغل المفكر الراحل طوال حياته بالأدب والثقافة والترجمة، وأصدر العديد من المؤلفات نذكر منها: «الكلام أو الموت، عشر محاضرات فى التحليل النفسى، الكتابة والسلطة، اللغة بما هى نظام اجتماعى، ضيق فى التحليل النفسى، لماذا العرب ليسوا أحرارًا، نحو عالم عربى مختلف، دراسات فى الأوديب، البنيوية فى التحليل» وغير ذلك. ويرى صاحب كتاب «الكتابة والسلطة»، أن جريمة الطغاة فى العالم هى التشبه بالإله، وأن الحكام يتعاملون مع الشعوب بغير مسئول، بخاصة الشعوب العربية التى أنشأت دولا ثم صارت عبيدًا لحكامها، مشيرًا إلى أن هذا هو أساس الخنوع الذى فُطر عليه العرب، فضلا عن أن حكام الدول لم يسمحوا بالتفكير والتعبير بالكتابة وتعاون الأفراد، وبالتالى أصبح لا يربط أفراد الشعب ببعضه إلا الزعيم فإذا توفى أسقط فى يديهم ولم يبق أمامهم غير انتظار الزعيم القادم.

وعن تزايد حالات العنف فى البيئة المصرية التى تميل بطبيعتها إلى المحبة والخير والسماحة، إلى حالات العنف المتزايدة خلال السنوات الأخيرة؟ يقول الدكتور مصطفى صفوان، أن السبب الرئيسي هو «الفردية» التى حدثت نتيجة التفكك الأسرى، وفشل النظام السياسى فى جميع وجباته الاقتصادية والسياسية والتعليمية والصحية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التى يشعر معها الفرد بالظلم فيفكر حينها بالسيطرة الفردية ومنها يلجأ إلى العنف كحل بديل.

ويرى صاحب كتاب «لماذا العرب ليسوا أحرارًا»، أن النهضة الحقيقة للدولة المصرية تحتاج إلى تغير النظام التعليمى بأكمله، مع إمكانية نشر الحقائق وإعلام الناس بها، والسماح للكتاب والمثقفين والمؤرخين بكتابة الحقائق، والابتعاد عن المؤلفات التى يروج لها وهى مليئة بالجرائم والأكاذيب، حسبما قال.

يشير الدكتور مصطفى صفوان فى كتابه «الكتابة والسلطة» إلى الأسباب التى دعته إلى ترجمة كتاب «مقال فى العبودية المختارة» للكاتب الفرنسى اَتين دى لابوسيه ومنها تخلفنا العقلي - على حد تعبيره - الذى يتجلى أوضح ما يتجلى فى فقر فلسفتنا السياسية التى انحصرت فى بضع قضايا صارت تجرى مجرى البديهيات، فلم نعد حتى نحلم بمراجعة أنفسنا، رغم شبهها الجوهرى بتلك التى سادت فى الغرب إبّان العصور الوسطى، التى لم يتوقف تعمقها هناك ونقدها حتى اليوم، مثال ذلك وقوفنا عند إبراز وحدة المجتمع المبنية على التاريخ واللغة والقصيدة مع إغفال انقساماته المبنية على استغلال الناس بعضهم بعضا إذا استطاعوا.

عن المصري اليوم

> ـ قال إنه لا مستقبل لعلم النفس فى العالم العربى إلا بوجود نهضة فكرية شاملة
>
> ـ اهتم بالترجمة وانشغل بسؤال: لماذا العرب ليسوا أحرارًا؟
>
> كانت اللغة بشكل عام طريقه الأساسى إلى علم النفس، إذ قال عنها: «نحن أبناء اللغة قبل أن نكون أبناء آبائنا وأمهاتنا».
>
> وأكد أنه لا مستقبل لعلم النفس فى العالم العربى إلا بوجود نهضة فكرية شاملة.
>
> وبرغم عشقة للغة لم يقف «صفوان» ضد الكتابة باللهجة العامية المصرية، بل دعمها وبادر بترجمة أجزاء من مسرحية «عطيل»، للأديب الإنجليزى وليم شكسبير مستخدمًا العامية.
>
> إنه الفيلسوف والمحلل النفسى المصرى مصطفى صفوان «١٩٢١ ـ ٢٠٢٠»، الذى رحل عن عالمنا بمقر إقامته فى باريس، وهو يعد أحد أبرز علماء النفس المعاصرين، وشيخ علماء التحليل النفسى فى فرنسا، وواحدا من أشهر علماء النفس المصريين، صاحب العديد من المؤلفات المكتوبة بالفرنسية والتى تُرجمت بعضها إلى العربية.

مصطفى صفوان: التحليل النفسي أو الموت

شوقي بن حسن

"الكلام أو الموت" عنوان أشهر مؤلفات المحلّل النفسي المصري الذي غادر عالمنا مصطفى صفوان (١٩٢١ - ٢٠٢٠). عنوان يوجز فكرة العمل الذي صدر في عام ١٩٩٦، ويختزل جوهر المدرسة اللاكانية التي ينتمي إليها المؤلف وهي التي وضعت اللغة وأنظمة التواصل بشكل عام في موقع أساسي ضمن فضاء التحليل النفسي، وفي هذا الكتاب قطع صفوان خطوة أخرى حين أذاب مفاهيم مثل المعنى والحقيقة ضمن معجم التحليل النفسي.

وإلى ذلك، كان العنوان يوضّح -في حدّ ذاته- موقفاً شاملاً من الوجود، موقف مصطفى صفوان بلا شك، ولكنه موقف كل امرئ ذي ضمير، فالكلام هو رمز التعبير ومن دونه تقبع الكينونة البشرية في زاوية بعيداً عن الفعل والتأثير فتذوي تدريجياً في الموت الرمزي، كما أن الكلام يحيل إلى التواصل والاعتراف بين الذوات وكل تعطيل لكلام الآخر إنما هو إنكار لإنسانيته تمهيداً لإقصائه أو إبادته.

عَرف الكتاب - بفضل جاذبية عنوانه وقوة مقولاته - مقروئية عالية في ثقافات عدة، أوّلها الفرنسية التي كُتب بلغتها ويعدّ اليوم أحد أهمّ مراجع علم النفس فيها. وفي أميركا الجنوبية تحوّل إلى مفتاح جديد من مفاتيح التخلّص من الآثار الجانبية للدكتاتوريات العسكرية المتداعية نهاية القرن العشرين. وكانت له أصداء موسّعة ضمن الثقافات الألمانية واليابانية والأنغلوسكسونية وأخذ هناك سريعاً موقعاً رئيسياً لدى الباحثين في مجالات عدة أرحب من التخصّص الأصلي في علم النفس فاستلمه السيميولوجيون وعلماء الاجتماع والباحثون في الدراسات الثقافية والأنثروبولوجيون واستندوا إلى كثير من مقولاته وأطروحاته.

أما عربياً، فقد وصل الكتاب إلى لغة صفوان الأم عام ٢٠٠٨، بترجمة مصطفى حجازي الذي أشار في تقديمه للعمل إلى أن عبارة "الكلام أو الموت" هي التي ألهمته مفاهيم مثل الهدر الفكري والهدر الكياني، وهي المفاهيم التي أقام عليها كتابه الشهير "الإنسان المهدور". كما أشار المترجم اللبناني إلى حاجة الثقافة العربية بالذات لينطق هذا الكتاب بلسانها وهي التي تعاني أكثر من غيرها في مفتتح القرن الحالي من قمع التعبير والتضييق على الحريات الفكرية.

كان ذلك عشيّة التحوّلات التي ستعرفها البلاد العربية في ٢٠١١، وقد كانت الانتفاضات الشعبية - من تونس إلى سورية مروراً بمصر وليبيا واليمن - تُضمر ضمن شعاراتها مقولة "الكلام أو الموت". كانت تلك اللحظة أشبه بصراع حقيقي بين الرغبة في "الكلام" والرغبة في فرض "الموت"، بين إرادة شعبية انفلت عقالها صائحاً بمطالب الحرية والكرامة والعدالة، وبين قبضة الأنظمة وهي تستعمل أدوات العنف بلا رحمة لتمنع من يريدون "الكلام" من حقوقهم وتدفع بهم إلى "الموت".

يمكن أن نربط كتاب "الكلام أو الموت" مع عمل آخر لصفوان، وهو ترجمته لكتاب "مقالة في العبودية المختارة" لـ إيتيان دي لاويسيه (القرن السادس عشر). خيار لا يبدو اعتباطياً بحال، فالكتاب خارج التخصّص العلمي لصفوان، وبالتالي فهو نوع من الانتقاء الذي يعبّر عن شخصيته ويعبّر عما يرى بأنه ينقص المكتبة العربية. اختار أن ينقل عملاً تأسيسياً للوعي بالحريات في الثقافة الفرنسية، كيف لا وكتاب لاويسيه يقوم على إضاءة الخطر الذي يتهدّد الإنسان حين يرضى بالعبودية طواعية حتى لو كانت محفوفة بشتى أنواع الملذّات والمنافع.

كما نقل المحلل النفسي المصري إلى العربية كتاب "تفسير الأحلام" لسيغموند فرويد، لكنه لم يتصدّ له كخيار حر كما مع "مقالة في العبودية المختارة"، بل كان خيار الضرورة لسببين على الأقل؛ تقف وراء السبب الأول قصة طريفة، حيث إن صفوان وهو في بداية حياته المهنية في فرنسا، عاد في صيف ١٩٥٣ إلى مصر خلال العطلة الصيفية غير أنه وجد نفسه - بقرار سياسي من نظام الضبّاط الأحرار - مكرهاً على البقاء في مصر خمس سنوات على الأقل مدرّساً في الجامعة المصرية، وهي فترة جعلته يحتك بحاجيات الثقافة العربية فيُفيدها بشكل مباشر مما تعلّمه في سنوات تحصيله في السوربون.

أما السبب الثاني، فهو استشعار صفوان الحاجة الملحة للثقافة العربية إلى سدّ فجوة معرفية تتسع بشكل متسارع في مجال علم النفس، مع ظهور طلب على هذا المجال المعرفي بعد لمحات أولى سَحر بها سلامة موسى القرّاء العرب دون أن يشفي غليلهم نظراً لافتقاده للمؤهلات العلمية الكافية التي باتت متوفّرة لصفوان الذي درس التخصّص في باريس منذ ١٩٤٦. في هذا العمل اجتهد صفوان أيما اجتهاد لنقل المفاهيم التأسيسية للتحليل النفسي إلى العربية التي كان لا يجد ضمنها مقابلات لمفردات المفكّر النمساوي، ولكنه أتاح لها لاحقاً نواة مادة معجمية تلقفها مترجمون آخرون في عقود لاحقة.

حين عاد إلى فرنسا في ١٩٥٨، انغمس صفوان في متابعة محاضرات أستاذه الذي تعرّف عليه منذ سنوات، جاك لاكان (١٩٠١ - ١٩٨١). لم يكن يعلم - وهو الأجنبي - أنه سيصبح بعد بضعة أعوام أهم تلاميذ المحلل النفسي الفرنسي وصديقه، ثم رأس التيار الذي يحمل اسمه بعد رحيله (اللاكانية)، وسيتحمّل صفوان في هذا الإطار مسؤولية جسيمة في تحويل محاضرات أستاذه إلى سلسلة كتب سماها "لاكانيانا"، ونفهم ثقل المسؤولية حين نعلم أن لاكان لم يعتن طوال حياته البحثية الطويلة بتأليف كتب، وبالتالي فإن لاكان كما نقرؤه اليوم هو بشكل من الأشكال لاكان برؤية صفوان كما نعرف سقراط عبر رؤية أفلاطون.

كان لهذا الدور، وللعلاقة الوطيدة مع لاكان - وهو علامة مركزية في منظومة العلوم الإنسانية - أثر أساسي في اعتراف الجماعة العلمية الفرنسية بصفوان كما يحدث ذلك نادراً مع باحث أجنبي. لاحقاً يُعتبر صفوان فرنسياً من أصول مصرية. لكن لا يمكن أن نُرجع هذا الاعتراف الفرنسي إلى هذه العلاقة مع لاكان وحدها، فقد كان لصفوان مؤهلات أخرى تدعم شرعية موقعه، من ذلك أنه حين جرى إطلاق مشروع سلسلة الكتب المعروفة "ماهي البنيوية" عُهد إلى صفوان بوضع كتاب "البنيوية في التحليل النفسي" دون غيره من الباحثين في هذا المجال ومنهم لاكان نفسه.

ثم إننا لو تساءلنا: ما هو الكتاب الذي يعتبر اليوم المدخل الرئيسي لعامة القرّاء إلى التحليل النفسي في فرنسا فسنجد أنه عمل آخر لصفوان صدر في ٢٠١٣ وبدا مثل خلاصة تجربة فكرية كاملة. لقد أتى هذا العمل ليربط بشكل نهائي بين كواليس الحقل العلمي والقارئ العادي، وهو ما يفسّر تعدّد طبعاته، ومنها طبعة شعبية بحجم الجيب. عملٌ وصل إلى العربية في ٢٠١٦ (نقله أيضاً مصطفى حجازي)، وهو مؤشّر يبدو إيجابياً في سرعة نقل أعمال مصطفى صفوان إلى العربية، ولكن هل يخفي ذلك غيابه الطويل، وقراره أن يفيد الثقافة العربية من مقرّه الباريسي وليس من الإسكندرية، مسقط رأسه، مثلاً. لعلّه كان يودّ ذلك، ولكن هل كان سيجد بيئة حاضنة مهيّأة للعلم والتأليف؟ لعلّه حين كان يحدّد مدينة استقراره كان يختار بين "التحليل النفسي" أو "الموت".

عن العربي الجديد

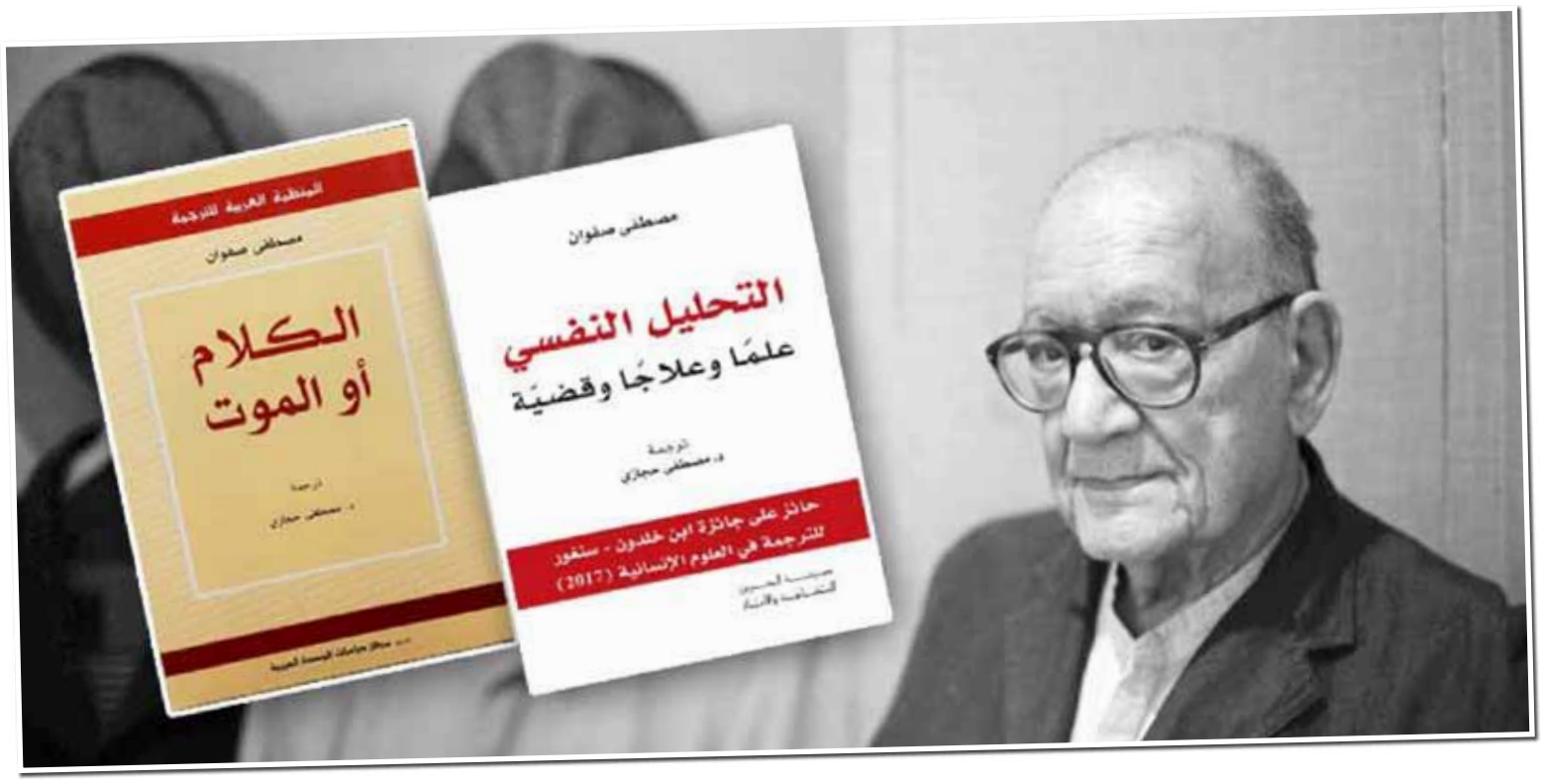

العالم النفسي المصري مصطفى صفوان:

إذا كان العرب لم يترجموا هايدغر فلماذا يترجموني؟

شريف صالح

" لا كرامة لنبي في وطنه»! مقولة تذكرتها عندما التقينا أثناء زياراته المتقطعة إلى القاهرة، فمن غير المعقول أن يأتي ويغادر إلى حيث يعيش في فرنسا بلا احتفاء ولا حتى لقاء عابر في إحدى القنوات التلفزيونية، وما أكثرها! ومن غير المعقول أن يكون علماً من أعلام التحليل النفسي في أوربا ولا ينال جائزة تليق به من وطنه، وما أكثر الجوائز التي توزع في وطننا العربي!

لم يشفع للعلامة مصطفى صفوان أنه قضى ما يقرب من ستين عاماً مع التحليل النفسي أو أنه ترجم سفر فرويد الشهير «تفسير الأحلام» منذ ما يزيد عن أربعين سنة. ولم يفكر القائمون على المشاريع الثقافية العربية في إعادة نشر كتبه القليلة التي ترجمها باقتدار إلى العربية، ومنها «مقال في العبودية المختارة» وهو كتيب صغير الحجم، عظيم الفائدة! هذه الحالة المؤسفة بالنسبة لما ترجمه تنطبق أيضاً على مؤلفاته التي يكتبها بالفرنسية والإنجليزية والتي تطبع في كبريات دور النشر الأوربية.

حسب علمي فإن المبادرة المهمة والوحيدة في هذا السياق تحققت قبل شهور قليلة بجهد مشكور للمنظمة العربية للترجمة التي أصدرت له كتابه المهم «الكلام أو الموت» ترجمة د. مصطفى حجازي. كما نشرت دورية «أوراق فلسفية» ملفين مهمين عن صفوان وأستاذه جاك لاكان.

تلك مقدمة ضرورية حين نتحدث عن العالم الجليل مصطفي صفوان فهو واحد من كبار أساتذة التحليل النفسي على المستوى العالمي. تلميذ مباشر، ثم زميل وصديق، لجاك لاكان لما يزيد على ثلاثة عقود. وحاليا يحتل زعامة التيار «اللاكاني» في أوربا كلها. ولا أزعم لنفسي باعا في التحليل النفسي وقضاياه الدقيقة، لكنها كانت فرصة بالنسبة لي كصحفي أن أقترب من عالم هذا الرجل والفضل في ذلك لتلميذه وصديقه د.حسين عبد القادر، فله جزيل الشكر مرتين، لأنه أتاح لي فرصة التعرف عن كثب على مثقف عربي مرموق، ولأنه قدم الكثير من الملاحظات المفيدة قبل نشر الحوار، كاحتفاء بسيط لرجل أعطى دون صخب، ولا انتظار مقابل من أحد. وتحتم عليّ الأمانة أن أشير إلى أن الحوار تم على أكثر من مرحلة، من بينها جلسة في المسرح القومي في ضيافة د.عبد القادر وأخرى في مركب شراعي في النيل وثالثة في أحد الفنادق. وشعرت كصحفي بصعوبة إدارة اللقاء معه، ليس فقط لأنني صحفي ولست محللا نفسيا، بل لأن صفوان نفسه على المستوى الإنساني شخص متأمل صموت، يكتفي عادة بردود مقتضبة لا تخلو من شفرات!

بداية المشوار

أنت تخرجت في جامعة الإسكندرية في العام 1943 كدارس للفلسفة لكنك اتجهت فجأة إلى التحليل النفسي.. ما سبب هذا التغيير؟

– في الحقيقة هناك ثلاثة أسباب دفعتني إلي ذلك: الاحتياج الشخصي، تشجيع أستاذي د. مصطفي زيور، ولأنني أردت أن أتفلسف من خلا ل علم مرتبط بالواقع. وقد ظللت متذبذباً: هل اختار التحليل النفسي مهنة لي أم لا؟! كنت أشعر أن هناك مشكلات بلا حل كأنها أبواب مغلقة.. مثلاً ما يقال عن قسوة الأنا الأعلى والشعور بالذنب من دون أب، فإذا كان الأنا الأعلى وريث الأب، فمن أين جاء هذا الشخص بالأنا الأعلى؟ من أين يتوارثه؟!

وهل ثمة حلول لمثل هذه المشكلات؟

– في الحقيقة، جاك لاكان هو الذي فتح تلك الأبواب المغلقة بنظرياته عن التمييز بين الرمزي والمتخيل. في تلك الفترة كنت قد بدأت تحليلا شخصيا لي تحت إشراف د. شلومبرجيه، وكان رجلاً واسع الثقافة الأدبية، ولم يكن من الذين يعطون تفسيرات وحشية كأن يقول لك: أنت متعلق بأمك أو أبيك! بل كان يقول لك أين أنت بناء على ما تقوله فحسب، دون مصادرة، فكانت ممارسته للتحليل النفسي أقرب إلى حس عالم اللغة منه إلى السيكولوجي الدينامي. وهذا جعلني أقبل التحليل النفسي، خاصة أنني منحدر من أسرة للغة ووجود قوي بها، فوالدي كان عالما أزهريا، وربما لو صادفت أستاذا آخر لجعلني أنفر من هذا المجال. في تلك الأثناء قرأت مقالاً لجاك لاكان واستمعت إلى بعض محاضراته وكنت معجبا به، بجانب أن أحد الأساتذة الكبار في السوربون وهو «باشلار» أشار يوماً إلى محلل نفسي شاب يستحق من الشهرة أكثر مما له، وكما نقول لدينا «الصيت ولا الغنى» وهكذا أصبح اختياري للتحليل النفسي لا رجعة فيه، وهكذا أيضاً ارتبطت بجاك لاكان.

مع لاكان

كيف استمرت علاقتك مع لاكان؟

– عملت تحت إشرافه منذ العام ١٩٤٩ وكان دائماً يشجعني دون أن يقول ثلاث كلمات وكأنه غير مهتم، فهو لم يكن يتدخل في العمل إلا للضرورة القصوى، ومنذ بدأ دروسه ارتبطت به كتلميذ ثم كزميل له في مدرسته، وحين اصطدم مع الاتحاد الدولي للتحليل النفسي أخذت جانبه، وظللت أعمل معه حتى وفاته ، حيث آل أمر المدرسة إلى زوج ابنته ففضلت أن أعمل بمفردي حيث كانت لي شهرتي وكتبي وتلامذتي.

لماذا لم تترجم لاكان كما ترجمت فرويد من قبل في كتابه الشهير«تفسير الأحلام»؟

– ترجمة لاكان إلى العربية كما فعلت مع «تفسير الأحلام» لفرويد، لم تخطر على بالي، لأن لاكان له أسلوب خاص. هناك تعريف يقول إن «الأسلوب هو الإنسان». لاكان يضيف إلى هذا التعريف قائلاً إن «الأسلوب هو الإنسان الذي تحب أن تكلمه»، فقارئ لاكان لابد أن يكون شخصاً نبيهاً. كذلك هو لا يكتب لشرح نظرياته وإنما يشرح لكي يكون تلامذة، فهو يتكلم بلغة ملغزة كي يُعمل التلميذ ذهنه. فطريقته تعتمد على الإلماح وعلى مستدعيات يصعب فهمها على القارئ العربي، فهو يتكلم بتكنيكات اللاشعور، وهذا صعب للغاية في الترجمة إلا إذا جعلت لكل سطر هامشاً. من هنا فترجمة فرويد أسهل.

صاحب المتن

تحدثنا عن علاقتك مع لاكان، ولم نتحدث عما يعنيه لك فرويد؟

– فرويد هو المتن الذي يحوي التصورات الأولى التي تكون منها صرح التحليل النفسي. فأنا عندما أتكلم عن الأنا الأعلى فهذا مأخوذ عن فرويد، كذلك الأنا واللاشعور وغيرهما. إذن الزوايا الأربع للبناء موجودة عند فرويد، ومن أتى بعده يحاول أن يحل ما يطرأ من مشكلات، فأحيانا تكون العلاقة بين التصورات المختلفة علاقة تناقض، وبالتالي تحتاج إلى حل، أي إلي نظرية جديدة وهكذا.

ولماذا الهجوم على فرويد أحياناً؟

– مادام التفكير يتمتع بصفة العلمية فلابد وأن يصطدم بالمعتقدات الموجودة في الأساطير، مثلاً فكرة أن الانسان أعطى للأشياء أسماءها والتي تعتقدها مجتمعات كثيرة مجرد خرافة، فالواقع أن الانسان يولد في عالم الأشياء فيه مسماة، وهو نفسه يأخذ اسما فيصبح من عائلة فلان، وهذا يفرض عليه تبعات معينة. إذن الإنسان لا يسكن اللغة فحسب بل هو معجون فيها. ودائما كان التفكير الحر بعيداً عن المعتقدات ومتصادما معها، فلا يوجد صدام بين فرويد والفكر الديني أكثر مما بين الفكر الديني وأي نظرية علمية أخرى.

قيل إن فرويد بالغ في تفسيراته المستمدة من نظرية دارون عن التطور؟!

– فرويد كان واقعا تحت تأثير فكرة التطور التي كانت جارية مجرى المسلمات في القرن التاسع عشر، فكان على ذهنه أن يتحرر من هذه النظرية، كما أن تكوينه العلمي كان بيولوجيا لأنه طبيب. من هنا انتهى فرويد إلى تصورات مرتبطة بتكوينه الخاص وهذا أوجد بالطبع بعض المشكلات.

على الشاطئ الآخر

منذ ستين عاماً تقريباً وأنت تعيش على الشاطئ الآخر للبحر المتوسط، في فرنسا، تكتب وتعمل هناك، وربما لا يعرف القارئ العربي عنك الكثير.. فما أهم مؤلفاتك التي ترشحها له؟

– بداية، لا أحب كتبي ولا أحب قراءتها مرة أخرى، لكنني أذكر بعض الكتب بالخير منها «دراسات في الأوديب»، «اللاشعور وصاحبه» و«الكلام أو الموت».

برغم أنك ترجمت بعض الكتب مثل «مقال فى العبودية المختارة» .. فإن كتبك لم تترجم إلى العربية، لماذا؟

– لا أعرف، وعموماً العرب لا يترجمون شيئا مقارنة بغيرهم، ربما نترجم في السنة تسعين كتاباً في حين أن البولنديين يترجمون ٤٥ ألف كتاب واليابانيين ٦٠ ألف كتاب .. فمن الذي يُترجم لدينا؟ هيدغر غير مترجم إلا في شذرات منه، غونتر غراس من الأدباء لم يترجم له سوى أعمال قليلة .. وغيرهما.. فلماذا يُترجم مصطفى صفوان بالذات؟

ألم تحاول إحدى المؤسسات العربية ترجمة أعمالك؟

– لا .. لم يتصل أحد بهذا الشأن ولا أستطيع أن أجري وراء أحد كي يترجمني. لكن كان هناك كلام لترجمة كتابين لي

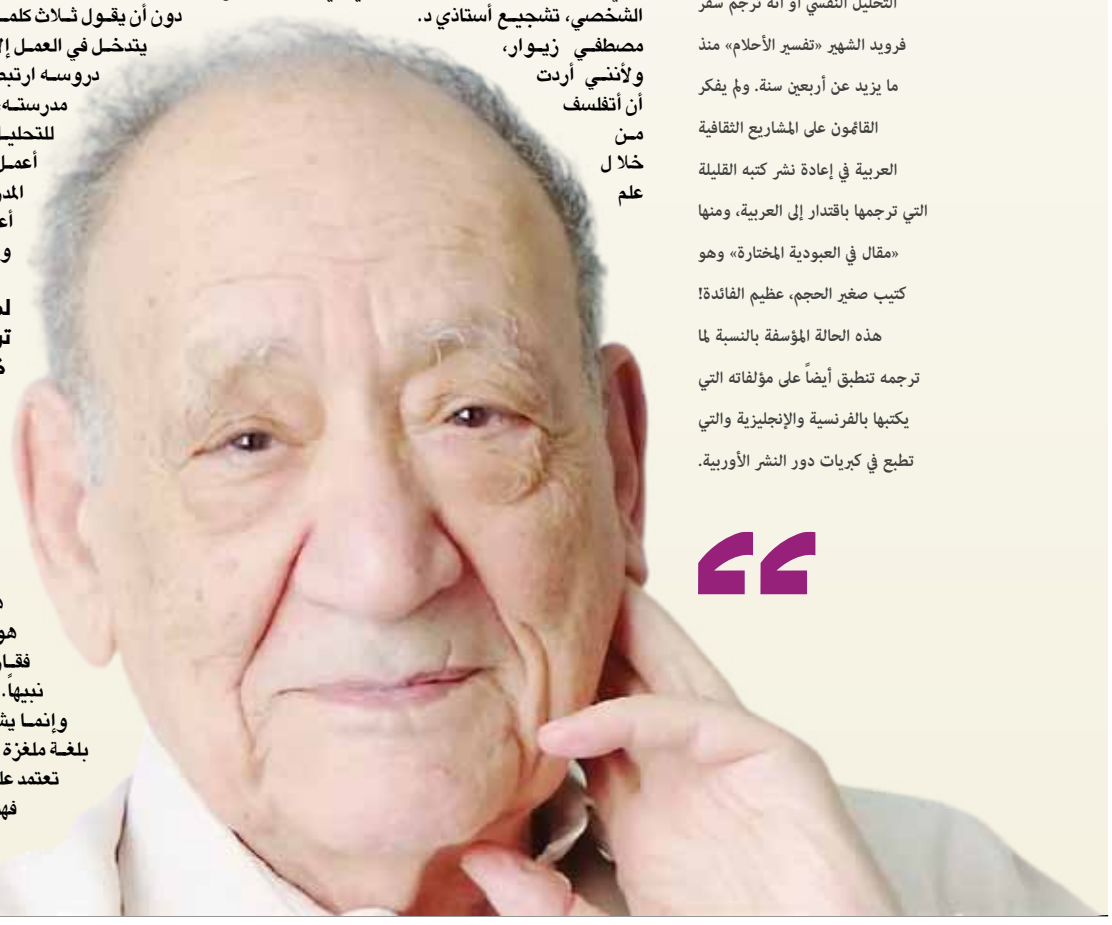

من خلال المشروع القومي للترجمة في القاهرة، وهما «دراسات عن لاكان» والآخر «عشر محاضرات في التحليل النفسي».

باعتبارك مُترجماً قديراً لِمَ لا تترجم أنت مؤلفاتك؟

– هذا «أشنع» شيء، فكما قلت لك لا أحب قراءتها فما بالك بترجمتها.

رعب النفي

يلاحظ حالياً أن ثمة تكاملاً بين علم اللغة والأدب والتحليل النفسي، ما جوهر العلاقة بين الثلاثة؟

– عندما ظهرت فكرة البنيوية ظهرت على يد دي سوسير العالم اللغوي الذي أبرزها للعيان، ثم انتشرت بعد ذلك في العلوم المختلفة. بالنسبة لعلم النفس لم يأخذ فكرة البنية فحسب وإنما عمق نظريات لغوية أخرى مهمة مثل فكرة «النفي» فهي فكرة لغوية مرعبة مازالت تدوخ الفلاسفة واللغويين. هناك نفي واقع على الموضوع «هذا ليس أحمر» ونفي على التخصيص أو على التعميم، وهناك نفي القول «إنني لم أقل إن الأرض كروية» وهذا غير نفي الحقيقة نفسها، هذا الموضوع اللغوي تم تعميقه بواسطة علم النفس. كذلك موضوع «التمييز» أخذه علم النفس من علم اللغة وطوره. فالقول المنطوق يصح أن يظهر فيه الفاعل «أنا جئت حالاً» القائل موجود في العبارة، وقد لا يكون القائل موجوداً مثل «امش يا ولد» سنلاحظ أن القائل غير الموجود له حضور محسوس وقوي أكثر كلما لم يستخدم «أنا» وهذا ما نجده في صيغة الأمر والنهي والوعد. هذا التمييز عمقه أيضاً علم النفس.

وكيف وجدت تحليل فرويد لنصوص وشخصيات أدبية مثل «هاملت» و«أوديب»؟

– لا نستطيع القول إن تحليلات فرويد لبعض الشخصيات الأدبية كانت خاطئة إنما يمكن القول إنها كانت بدائية، فمثلاً في تحليل «هاملت» يقول: إن هاملت متردد مقارنة بأوديب، لأن عصر هاملت كان عصرا متأخرا ولهذا فقد زاد الكبت، من قال إن الكبت يزيد مع تخلف العصر؟! لاكان لاحظ شيئا آخر وهو أن والد هاملت مات بالسم في أذنه وجاءه في المنام وأخبره أن «أمك خانتني»، الملاحظة هنا أن الأب لم يمت بالسم، ولكن هاملت هو الذي تسممت أذنه بفعل كلام أبيه، ويأتي الفارق بين أوديب وهاملت في المعرفة، أوديب لم يكن يعرف، في حين تبدأ رواية هاملت بالمعرفة. ومثلما في البنيوية عندما يتغير عنصر لابد من حدوث توازن جديد للمجموعة كلها، وبالتالي كان لابد أن تأخذ شخصية هاملت مساراً آخر مختلفاً عن مسار شخصية أوديب نظراً لاختلاف عنصر البداية في كليهما. مثل هذه اللمحات من لاكان هي التي جعلت حضوره في أمريكا بين أساتذة ونقاد الأدب أكثر من حضوره عن طريق أساتذة التحليل النفسي.

لماذا لا نجد محللاً نفسياً عربياً أقدم على مثل هذه التجربة؟ ألم تفكر في ذلك خاصة أنك شديد الاهتمام بالأدب؟

– لم أفعل ذلك.. لأنه ليس كل كاتب يصلح لأن يُعطي درساً.

برأيك، ما أهم العلوم والمعارف اللازمة للمحلل النفسي الناجح؟

. أشياء كثيرة أهمها علم اللغة، الفلسفة بوجه عام، وخاصة الفلسفة السياسية، علم الإنسان، المنطق، تاريخ وفلسفة العلوم، وأن تكون لدى الدارس ألفة بالأفكار الأساسية في الرياضيات.

هل من الأفضل لدارس التحليل النفسي أن يسافر إلى الخارج؟

– إلى الآن تبقى إمكانية التكوين في العالم العربي محدودة لأن عدد الأصدقاء القادرين على التكوين محدود جدا وأرجو منهم أن يهتموا بتكوين قاعدة من التلامذة. أنا مثلا لو كنت أعيش هنا « في مصر» لا أعرف ماذا سأفعل ربما لو وجدت طالباً نابهاً فسأعطيه بعض الجلسات ثم أتركه يعمل حتى نوجد حركة بالقوة.

هل ترى أن لدينا محللين نفسيين أكفاء؟

. الكفاءة موجودة لكن العدد قليل للغاية، وفي لبنان أكبر نسبة من المحللين من هؤلاء عدنان حب الله ومنير شمعون ولدينا في مصر أحمد فائق وحسين عبد القادر وغيرهم.

وكيف ترى مستقبل التحليل النفسي في الوطن العربي؟

– يوجد مجال واسع للعلاج وليس للعلم فهناك طبقة كبيرة في المجتمع العربي لم يعد نظام حياتها مختلفاً عن نظام الحياة في الغرب مثل أساتذة الجامعة والأطباء والمهندسين ومن يسكنون في المدينة، وتكوين الأسرة ذاتها أصبح شديد الشبه بالغرب، هذا يعني أن لدينا مجالاً رحباً للعلاج (الزبائن كُثر) لكن التحليل النفسي كعلم ليس له مستقبل ما لم تكن هناك نهضة فكرية. المستقبل حاليا منوط بالأساتذة الموجودين بالفعل، فعليهم كأفراد أن يوجدوا عناصر نشطة وفاعلة، فنحن في مرحلة على الأفراد أن يخلقوا الحركة وليس على الحركة أن تخلق الأفراد.

في رحاب الأدب

رغم عملك كأستاذ في التحليل النفسي، فإن اهتمامك العميق بالأدب لا يخفى على أحد، كيف تشكل هذا الاهتمام؟

– الا شعور نفسه نظراً لأن عليه رقابة يبحث عن تنفيس، فمثلاً النكتة تقول الحقيقة ولكن بطريقة غير مباشرة تجعلنا نستغرب العلاقة قبل أن نفهم. كذلك الا شعور يقول الحقيقة عبر طرق غير مباشرة، مثلما نجد ذلك عند من نصفهم بالجنون. فاللاشعور مجنون أو أديب، من هنا تأتي العلاقة العميقة بين الأدب واللاشعور، لكن أقرب أنواع الأدب إلى اللاشعور هو «المينارست» الذي يعتمد على اللعب بالكلمات. ويبقى للأدب مجاله الواسع باعتباره يعتمد على التسامي، فهو ليس مجرد تحريف لا شعوري. ولأن العجينة واحدة يصبح الاشتغال بالأدب معيناً على متابعة المتضمنات اللاشعورية للخطاب والتي تساعد بدورها على فهم الأدب.

كيف بدأت علاقتك بالأدب العربي؟

– علاقتي بالأدب العربي جاءت خلال الفترة الأولى من حياتي حيث عشت في فترة نهضة أدبية كبرى طرحت أسماء لا نزال نحيا على إنجازها مثل طه حسين والعقاد والمازني وأحمد أمين. في تلك الفترة كانت الترجمة مزدهرة، فمثلاً فخري أبو السعود يترجم من الأدب الإنجليزي ودريني خشبة يترجم في المسرح والصاوي محمد يترجم «تاييس» لأناتول فرانس. وكانت أقرب الأسماء إلى نفسي في تلك الفترة عبد القادر المازني، ومن الشعراء أعجبت بمدرسة أبوللو وبأحمد زكي أبو شادي. تلك الفترة لم تكن تتميز بالنهضة الأدبية فحسب وإنما بالنهضة السياسية أيضاً، فالصحيفة كانت مهمة عند كل مواطن كرغيف الخبز، وكانت الناس تنتظر ردود توفيق دياب على عبد القادر حمزة وردود حمزة على توفيق دياب، وبالتالي لم يكن تكويني أدبياً فحسب وإنما كان أيضاً أدبيا وسياسيا بحكم هذا العصر.

ماذا لو عقدنا مقارنة بين الأربعينيات أثناء دراستك في الجامعة وبين الأيام الحالية؟

– الصحيفة حاليا لم تعد مهمة كرغيف الخبز، صحيح الوعي السياسي لدى الناس مستمر. ودائماً الوعي بالحقائق عالٍ لكن التعبير عن هذا الوعي في أيام الحركة الوطنية كان يجد الحماية، لأن العزيمة كانت أمضى، حيث إن العدو أجنبي صراحة ومحتل، وليس مجرد سلطة نشأت من البلد، فكان التجرؤ عليه أقوى، والقضية لها قدرة تعبوية أكبر والدستور كان له وجود والأحزاب كانت متعددة. صحيح كان هناك تزييف للانتخابات لكن كانت تحدث احتجاجات ومظاهرات ضد التزييف ويضطر الملك مثلاً لأن يأتي بالنحاس باشا. كان هناك شعور لدى الناس بأن لهم كلمتهم في اختيار زعمائهم ونوابهم، وفي الاحتجاج على تصرفاتهم التي لا تعجب. من تلك الناحية هناك فرق كبير عما نعيشه حاليا.

العامية والسلطة

أبديت حماساً لترجمة بعض أعمال شكسبير إلى العامية المصرية، لماذا؟

– سر اختياري للهجة المصرية أن لدينا نظاماً يفصل بين الكاتب والأمة أو الناس، حيث نعلم في المدارس لغة لها نوع من التبجيل وذات صور أرفع ونبدأ في المدارس على محبة هذه اللغة، وما زالت إلى الآن أحب لغة إلى قلبي هي اللغة العربية، وما زالت أسهل علي مليون مرة من الكتابة بالعامية، ولكي أجد صيغة أدبية بالعامية أعاني صعوبة شديدة لعدم تمكني منها، لكن لا أزال أراهن على أهمية إيجاد أدب رفيع من اللغة الدارجة وأول من أقنعني بإمكان استخراج أدب من العامية هو صلاح جاهين، بجانب أنني قرأت أيضاً فؤاد حداد وعبد الرحمن الأبنودي.

سمعنا أنك تستعد أيضاً لترجمة «هاملت» إلى العامية، فهل اطلعت على ترجمات فصحى لها، كترجمة جبرا إبراهيم جبرا أو خليل مطران أو عبد القادر القط؟

– لم أر هذه الترجمات ولا أحب أن أراها إلا بعد أن أنتهي من الترجمة. كذلك لانقطاعي عن مصر لم أعرف ما تُرجم لشكسبير، لكن أستطيع أن أدعي القدرة على ترجمة أدق لهاملت تفوق ما تُرجم من قبل، وسأحاول في ترجمتي أن أعد لها هوامش وأن أجعل النص مدرسياً وأكثر عامية، لكن سأترك أسماء الميثولوجيا اليونانية كما هي مع إيضاحها في الهوامش وعلى المخرج المسرحي أن يستبدلها بأسماء من بيئة العرض المسرحي نفسه.

وهل الكتابة باللغة الدراجة ستكسر الحاجز بين الكاتب والناس؟

– الكاتب لدينا لا يكتب بلغة الناس. شكسبير كانت رواياته تؤدى على مسارح بسيطة يشاهدها كل الناس وهم يمرحون ويلهون، ومسرحيات سوفكليس عندما كانت تعرض يلتف الناس حولها، فلو وجدوا أن الشرير لا يؤدي دوره بإتقان أوسعوه ضرباً، فهؤلاء التحموا بالناس ولهذا لو سألت اليوناني أيهما تفضل حلف الناتو أم سوفكليس سيقول لك سوفكليس، وإذا سألت الإنجليزي عن شكسبير فستحصل على النتيجة نفسها.

إذا كان الكاتب العربي لا يكتب للناس، فلمن يكتب؟

– يكتب لبقية زملائه من الكتاب

هل هذه الأزمة مرتبطة بعلاقة الكاتب بالسلطة؟

– السلطة المحتكرة دائماً ستكون ضد الكاتب لأنها لا تحب الحق إلا باعتباره من اختصاصها فحسب، ولن تتركه لك ككاتب ولا توجد فرصة للمصالحة بين الطرفين ومادام الكاتب يكتب بلغة لا يفهمها الناس ستبقى السلطة (مستفردة) بالكاتب وأيضا (مستفردة) بالناس، ولذلك على الكُتاب لدينا أن يقوموا بجهد أكبر حتى يصلوا إلى ما وصل إليه زملاؤهم في الغرب حيث أصبحوا جزءا مقوما من ذاتية شعوبهم دون أن يعانوا ازدواجية اللغة.

ما الذي نحتاج إليه كي تكون هناك علاقة إيجابية بين الفرد والسلطة، وهي العلاقة التي دفعتك لترجمة كتيب «العبودية المختارة»؟

– عقلية «العامل» في أوربا مثلاً تربت في قرون، في حين حاول عبد الناصر أن يصنع «البروليتاريا» في مسافة نصف جيل، على الرغم من أننا مازلنا إلى الآن لا نعرف فكرة «الأجر» وإنما لدينا فكرة «الرزق»، كذلك لا نعرف فكرة «رأس المال» وإنما الموجود فكرة (الهبش) .. فالشيوعية كانت دعوة في أرض جاحدة غير معدة لها ففشلت فشلاً ذريعاً، كذلك عندما حاولت روسيا أن تصبح رأسمالية بين يوم وليلة كان مصيرها الفشل لأن فكرة الرأسمالية عاشت ونمت في أوربا خلال قرون طويلة. ما أقصده أن ما يحدث في يوم وليلة لا ينتج رجلا رأسمالياً وإنما ينتج مجرد (هلاب) نحن بحاجة أولا أن نخلق الفرد من حيث إن له حقوقاً سياسية وعليه واجبات دون انفصال. فهناك واجبات لا عقاب عليها كأن يصوت في الانتخابات وهناك واجبات يعاقب عليها كأن يستعمل بطاقة غيره في الانتخابات. فالفرد بما له من حقوق وواجبات فكرة موجودة من أيام اليونان ولم نخلقها نحن بين يوم وليلة وإنما تحتاج إلى وقت حتى تثمر في أرضنا.

من اهتماماتك الرئيسية أنك تركز على الفلسفة السياسية باعتبارها حاجة ماسة للمجتمع العربي، هل هذا صحيح؟

– لو لم أكن محللا نفسيا لما انتهيت إلى تفسيري هذا بخصوص علاقتنا بالسلطة، ويمكن أن أضرب لك مثلاً بأمريكا نفسها، ليس سر قوة أمريكا في الأساطيل والطائرات، فهذه هي القوة نفسها، أما سر القوة فيعود إلى وجود أقدم وأهم دستور لا يُمس منذ عشرات السنين ولا يستطيع أحد أن يغيره. هذا الدستور أعده الآباء المؤسسون لأمريكا من قبل الثورة الفرنسية تحت تأثير قراءتهم لجون لوك وغيره من الفلاسفة. والفكرة التي قالوها إن حيلة الحياة هي أن نبحث عن آليات تضبط الحاكم كما نجد آليات تضبط المحكوم، وهي فكرة اليونان القديمة نفسها التي بحثت عن «آليات» تجعل الحاكم لا يستبد بالحكم. هذا هو سر قوة أمريكا، إلى جانب أشياء أخرى غير الدستور، فهدفهم من الحياة أصبح تحصيل النقود بدون أي كف، وأصبح هناك إمكانية لحساب الكسب والخسارة باستمرار، ولأن الكل لديه الهدف نفسه فإن النجاح يمنح الإعجاب وليس الغيرة والحسد. وهذا أعطاهم شجاعة في البحث عن مصادر الرزق في القارات المختلفة. أي أن قوة أميركا في الدستور أولا ثم في تكوين الشعب الذي يُعجب بالنجاح ويرى في الكسب علامة رضا وهذا ما نحتاج إليه كعرب.

مصطفى صفوان.. في سطور

مصطفى صفوان من مواليد الثامن عشر من شهر مارس 1921 وقد تخرج في جامعة فاروق الأول (الإسكندرية حاليا) في الدفعة الأولى عام 1943 ومع نبوغه تصارع عليه أستاذان شهيران لتوجيه بعثته العلمية هما أستاذ المنطق أبو العلا عفيفي وأستاذ علم النفس مصطفى زيوار الذي أصبح أبا روحيا له وكتب له مقدمة ترجمة «تفسير الأحلام». وفي أواخر الأربعينيات سافر صفوان إلى باريس لاستكمال دراساته العليا وارتبط آنذاك بجاك لاكان. وبعد عودته وعمله في الجامعة المصرية تعرض لموقف قد يبدو بسيطاً جداً مع حرس الجامعة لكنه كان حاسما بالنسبة له لاتخاذ قرار الهجرة والاكتفاء بزيارات متقطعة إلى الوطن، مع التواصل مع الأصدقاء وعدد قليل جداً من المنابر الإعلامية.

مجلة العربي اذار 2009

رحيل مصطفى صفوان .. عالم النفس المدافع عن الحرية

علي حسين

كان يأمل العيش حتى عام ٢٠٢٢ ليتمكن من لقاء موظفه الاحوال الشخصية العاملة في الدائرة السادسة في باريس التي جددت له هويته الشخصية عام ٢٠١٢ ، في ذلك اليوم وهو يأخذ الهوية من يد الموظفة وجد انها جُددت لعشر سنوات قادمة ، قال لها باسما ساحاول أن اعيش قدر استطاعتي ، فاجابته ضاحكة : لا ، نحن بانتظارك . كان آنذاك في الـ " ٩١ " . مصطفى صفوان الذي رحل عن عالمنا قبل ايام كان يتمنى ان يتغلب على استاذه وصديقه كلود ليفي ستروس الذي عاش مئة عام وعام ، ومثل ستروس لم يكن مصطفى صفوان يؤمن بالتقاعد حيث واصل العمل حتى العام الأخير من حياته ، كان يقول في التحليل النفسي لامكان للتقاعد ، ونجده دائما ما يستحضر شخصية الكاتب المسرحي الشهير موليير الذي بقى على المسرح دون توقف حتى آخر لحظة في حياته . يسخر صفوان من صفة متقاعد ويقول انها تعني " مُت .. قاعداً " .

صاحب مدرسة التحليل النفسي العربية ظل طوال حياته التي بلغت الـ " ٩٩" عاما ينتمي الى عصر الظرفاء والذي يصفه بانه تميز بأناس مغرمين بالادب ، كانت احاديثهم كلها احاديث عن روايات وتناقل اخبار، وتعليقات نقدية ، مما رسخ في الصبي الذي ولد في السابع عشر من ايار عام ١٩٢١ في مدينة الاسكندرية حب الإنصات الى الآخرين والتعلم من الحياة ، حتى انه لم يؤلف كتابا إلى أن جاوز الخمسين من عمره . في الرابعة والعشرين من عمره يقرر أن يترجم كتاب سيغموند فرويد الضخم " تفسير الاحلام " ، كان يرى في التحليل النفسي نموذج لما يسمى الديمقراطية المثلى : " فالتحليل النفسي يمنح للشخص فرصة ان يتكلم بحرية من دون ارتباك او تحفظ " . بعد خمسة سنوات من التفرغ لترجمة كتاب " تفسير الاحلام " يقدم النسخة الى استاذه مصطفى زيور الذي ستدهشه قدرة تلميذه على فهم كتب فرويد ، فيقرر ان يراجعه وينشره ضمن سلسلة بعنوان " المؤلفات الاساسية في التحليل النفسي " وسيحمل كتاب " تفسير الاحلام " الرقم الاول في السلسلة ، التي صدر منها فيما بعد كتاب " حياتي والتحليل النفسي " و " ثلاث مقالات في النظرية الجنسية " و " الموجز في التحليل النفسي " و " مبداة فوق اللذة " و " خمس محاضرات في التحليل النفسي " .

قال صفوان ان فرنسا التي درس فيها ثم اتخذها مكانا للسكن والعمل منذ نهاية الخمسينيات منحته السلام والسكينة ، لكنه يصر على انه سيبقى مصري في المحل الاول ، ولن يتنازل عن مصريته ، حتى وان كان يشعر فيها بالغربة لانه من جيل رحل معظم رموزه " لطفي الخولي .. محمد عوده ..يوسف ادريس .. محمود امين العالم " الذي كان يصغره بعام واحد والذي سخر من اهتمامات مصطفى صفوان بنظرية فرويد فكتب مقالا ينتقد نظرية التحليل النفسي بعنوان " التاريخ لا يصنع في غرف النوم " ، قال صفوان عن صديقه محمود امين العالم انه " جاد اشتراكيا اكثر من اللزوم ، يُذكره بوالده الذي اعتقل عام١٩٢٤ بتهمة الشيوعية، يقول انه امضى طفولة هادئة من دون مشاكل ، باستثناء الشرطة السرية التي كانت تراقب الأب الماركسي والمتنور الذي كان يعمل في التدريس واول من نبه ابنه الى اهمية قراءة ماركس ،وشجعه على الاستمتاع بكتب العقاد وطه حسين وابراهيم المازني الذي كان الاب يحتفظ بكل كتبه ، كان مصطفى صفوان في السابعة عشر من عمره عندما قرأ ماركس لاول مرة ، في ذلك الوقت كان يفهم الماركسية من خلال احاديث والده الذي كان يردد ان الثقافة مشروطة بالبنية الاقتصادية للمجتمع ، لكنه بعد سنوات قليلة سينحاز الى رأي فرويد الذي يرى ان فكرة الثقافة تنبثق من الابنية اللاواعية . في مقابل الاب المهموم بالسياسة ، كانت الام ربة بيت على طراز امهات ذلك العصر ، ويتذكر مصطفى صفوان ان امه هي التي رسخت فيه فكرة التمرد ، ففي ذلك الوقت رفضت ان تتحجب برغم انها امراة متدينة ..في المدرسة يتعلم الانكليزية ثم يبدا بدراسة الفرنسية ، إلا ان اللغات لم تصرف اهتمامه وعشقه الى اللغة العربية التي احبها من خلال اصدقاء والده واحاديثهم عن الشعر والادب العربي ، وعن طريق الاهتمام باللغة يقرر الدخول الى قسم الفلسفة عام ١٩٣٩ ، في الجامعة يتعرف على استاذه يوسف كرم الذي كان آنذاك يدرس الفلسفة اليونانية ، ويهتم بارسطو الذي يرى انه يمثل قمة العقل ، وسنجد مصطفى صفوان يكتب بعد سنوات مقالا يطالب فيه بترجمة كتب ارسطو لما لها من اهمية في اشاعة التنوير في البلدان العربية ، ومن خلال دروس يوسف كرم سيتاثر بالمنطق الارسطي الذي يتلخص بأن اللغة موجودة لتقول ما هو موجود .

والاستاذ الثاني الذي كان له تاثيركبير عليه الدكتور مصطفى زيور وكان يُدرس علم النفس، وعن طريقه سيهتم بكتابات فرويد التي كانت تتحداه باعتبارها اثرا لملحمة فكرية عظيمة : " لقد كان فرويد ممثلا حقيقيا لتقاليد حركة التنوير ، ونظريتها المعرفية التي تعود تاريخها إلى بيكون وديكارت وسبينوزا " – مصطفى صفوان التحليل النفسي علما وعلاجا وقضية – وقد وجد صفوان ان الحقيقة تكشف عن عريها عند فرويد ، وكان مثل كارل بوبر يؤمن ان " الحقيقة منذ ان تكشف في عريها ، تكون دوما جلية كما هي " – كارل بوبر المجتمع المفتوح واعداؤه " .

في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٤٦ يصل مصطفى صفوان الى فرنسا للدراسة ، كان قبل الوصول الى باريس قد قرر دراسة مسألة اللغة ووظيفتها، بتشجيع من استاذه أبو العلا عفيفي الذي تخرج من كامبريدج بأطروحة عن محيي الدين بن عربي ، وكان يريد لتلميذه الذي وجد فيه مقدرة ونباهة ان يدرس الفلسفة والمنطق وفي نفس الجامعة ، لكن الذي حصل ان وزير الاوقاف المصري آنذاك توسط لترشيح علي سامي النشار لبعثة كامبريدج ليدرس التصوف الاسلامي ، فكان قرار الجامعة ان تبعث بصفوان الى فرنسا وقد شجعه على ذلك استاذه مصطفى زيور : " في الحقيقة هناك ثلاثة أسباب دفعتني إلي ذلك: الاحتياج الشخصي، تشجيع أستاذي مصطفي زيور، ولأنني أردت أن أتفلسف من خلال علم مرتبط بالواقع. وقد ظللت متذبذبا : هل اختار التحليل النفسي مهنة لي أم لا؟! كنت أشعر أن هناك مشكلات بلا حل كأنها أبواب مغلقة.. مثلاً ما يقال عن قسوة الأنا الأعلى والشعور بالذنب من دون أب، فإذا كان الأنا الأعلى وريث الأب، فمن أين جاء هذا الشخص بالأنا الأعلى؟ من أين يتوارثه؟! " .

في باريس سيجد ان البنيوية لها تاثير قوي في مجتمع المثقفين الفرنسيين ، وهي تزاحم الماركسية والوجودية ، وان رواد البنيوية من امثال دي سوسير وكلود ليفي ستروس وجاك لاكان يحظون باحترام النخبة الثقافية الفرنسية ، كان ليفي ستروس قد عاد لتوه من نيويورك التي هاجر اليها اثناء الاحتلال الالماني لفرنسا ، حيث عمل هناك استاذا للبحث الاجتماعي ، وكان قد نشر دراسته المهمة " التحليل البنيوي في علم اللغة والانثروبولوجيا " ، يرتبط صفوان بصداقة متينة مع ستراوس استمرت حتى وفاة المفكر الفرنسي الكبير ، في الجامعة يدرس تحت اشراف عالم النفس الشهير " جاك لاكان " الذي مارس تاثيرا كبيرا عليه، بعد سنوات يؤسس جاك لاكان " المدرسة الفرويدية " عام ١٩٦٤ ، وسيقع اختياره على تلميذه مصطفى صفوان للعمل معاونا له في المدرسة حتى لحظة اغلاقها ، كان صفوان قد ارتبط بالعمل مع لاكان منذ عام ١٩٤٩ ، وكان قبلها يحضر الندوة الشهرية التي يقيمها لاكان ، فادهشه حديثه عن اللغة ، ووجد ان هناك ارتباطا بين اهتماماته عن اللغة وبين محاضرات لاكان فقرر ان يطلب منه ان يكون مشرفا على رسالته .

كان جاك لاكان المولود في الثالث عشر من نيسان ، يحتل مكانة بارزة في مدرسة التحليل النفسي حتى كان يطلق عليه " فرويد الفرنسي " ، ومنذ ان اصدر عام ١٩٣٢ كتابه الشهير " الذهانات " – ترجمه الى العربية عبد الهادي الفقير – وهو لا يتوقف عن اعادة تفسير فرويد ، حتى ان رسالته الجامعية عام ١٩٣٦ والتي كانت بعنوان " وراء مبدأ الواقع " هي محاولة لاستحضار فرويد وكتابه الشهير فوق مبدا اللذة ، لقد رفع لاكان شعار " العودة الى فرويد " والذي حاول من خلاله استخراج افكار فرويد من ركام الشروح والتفسيرات التي كان لاكان يرى انها اضرته حيث كان البعض ينظر الى افكار فرويد على انها مجرد " سلعة " يكتب لاكان ان " معظم المحللين النفسيين ارتكبوا ما هو اسوأ من سوء فهم فرويد ، لانهم فقدوا كل احساس باهمية افكار فرويد وقدرتها الابداعية حين صاغها للمرة الاولى " ، طالب لاكان بالعودة إلى قواعد التحليل النفسي الفرويدي. وقد كانت كتاباته قد أولت الأهمية القصوى للغة حيث اعتبرت نظريته اللغوية من أهم النظريات في علم النفس كونها أظهرت العلاقة بين النفس واللغة فحسب لاكان ان جذور الكلمة وأسرار اللغة مخبأة في أعماق اللاشعور، فجوهر اللغة يكمن في لاشعوريتها ، كما أن اللغة نفسها تشكل منطق اللاشعور وعليه فإن ما على التحليل النفسي اكتشافه هو بنية اللغة. ولهذا يركز لاكان على أهمية الكلمة في ميدان التحليل النفسي حيث تغدو هذه الأخيرة كمفتاح بيد المحلل يستخدمه لاكتشاف إ أعماق النفس. ويرى لاكان ايضا ان الاحلام تنطوي على بنية رمزية وهذه البنية هي عبارة عن كلمات وإشارات ودلالات بمجملها تشكل نظاما متكاملا يؤكد وجوده من خلال الكلام واللغة .

يعود مصطفى صفوان الى مصر عام ١٩٥٤ ، كانت الازمة بين الضباط الاحرار ومحمد نجيب في اوجها ، وخلال اقامته التي لم تستمر طويلا رأى صفوان ان البلاد تتحول باتجاه الاستبداد،ولهذا يقرر العودة مرة أخرى إلى فرنسا : " من غير المعقول أن تبقى محللاً نفسانياً وفي نفسٍ الوقتٍ تتملق لواحد دكتاتور. غير ممكن أن تبقى محللاً نفسانياً وتبقى متوحداً مع ذلك الزعيم الذي يقود الجماعة القائمة على الالتفاف حول هذا الزعيم/الطوطم " .

من بين الكتب المهمة التي اصدرها مصطفى صفوان كتابه " لماذا العرب ليسوا أحرارا ؟"، الذي ناقش فيه قضية تحرير الإنسان العربي من مختلف ألوان الاستبداد السياسي والديني يكتب : " لقد اعتبر ارسطو تشبيه رجل الدولة برجل العائلة سفسطة غير مقبولة ، ورغم ان هذا التشبيه خاطيء فانه موجود في مجتماعتنا العربية حيث نجد ان الدكتاتور لا يحاسب على اخطائه، فهو وحده الذي سينقذ البلاد ، واي مخالفة لرايه خيانة ، وهو نفسه لا يتعلم من هزائمه ولا توجد معه نهاية سوى الكارثة" .

يهتم مصطفى صفوان بكتابات الفيلسوف الالماني "هيغل " حيث يقرر في الستينيات من القرن الماضي ترجمة كتاب هيغل " علم ظهور العقل " ويكتب في المقدمة ان تقديم هذا العمل لا يعني ان المترجم يحتضن فلسفة المؤلف ، لكنها محاولة للاكتشاف ولتعبيد طرق حديثة من التفكير لابناء العربية ، يجد في ترجمته لكتاب أتيين دي لابويسيه " العبودية المختارة " محاولة ا للكشف عن العبودية في مجتمعاتنا والتي يقول انها : " ليست ظاهرة خاصّة بمجتمع دون آخر، بل هي ظاهرة طبيعية جدّا. الحبّ استعباد، حبّ امرأة، حبّ زعيم.. فالحبّ يمنح القوّة. أمّا الخضوع والتفاني للزعيم، فهو شيء طبيعيّ، لأنّ النظم السياسية مبنيّة على الزعامة . تبقى الأمور على ما يرام طالما كانت الزعامة ناجحة جدّا، في الداخل والخارج " .

يؤكد صفوان ان الظاهرة الخطيرة في الوطن العربي ليس غياب الديمقراطية فقط ، بل : " عدم قيام أية ثورة شبيهة بالثورة الفرنسية على الحكم ، ولهذا نجد ان الحاكم عندنا يتصف بطبيعة دينية ، فالذي يحكم ، يحكم على انه ظل الله على الارض " ، وهو يعزو اسباب غياب الديمقراطية الحقيقية في جزء كبير منه الى الشعب الذي لم يعرف يوما تجربة الاتّحاد للدفاع عن مصلحة مشتركة تخصّه : " لا يعرفون المجتمع المدني. بلد أهله عاجزون عن تنظيم " طابور " فما بالك بتنظيم ثورة! " .

مصطفى صفوان: هزيمةَ الكلام

نوال العلي

لا يمكنك أن تتكلّم وأن تقتل في الوقت نفسه، فإمّا الكلام... أو الموت. «الكلام أو الموت» خياران يضعك أمامهما المحلل النفسي المصري مصطفى صفوان في كتاب حمل هذا العنوان (تعريب مصطفى حجازي عن «المنظمة العربية للترجمة»). وُضع هذا الكتاب استجابةً لمناقشة حول الثورة الإيرانية دارت بين المؤلف وصديقه الباحث كولن ماك كابي. لكن آثار هذا السبب غابت تماماً خلال الكتابة. لن يجد القارئ شيئاً عن الثورة الإيرانية، لكنك ستكتشف «تفسيراً معقولاً لما قد يدفع شعباً ما إلى تقديس جذور هويته»، من خلال تفسير علاقة المجتمع بالنظام الرمزي على ضوء تفاسير فرويد ولاكان وآرندت وآخرين. وفي هذا الخضم، يجد صفوان دربا يقوده إلى تفسير النظام الرمزي الذي قامت عليه دولة إسرائيل في المنطقة.

بدءاً من مقدّمة الكتاب، يُدهش صفوان المتلقّي. إذ ينصحه بتأجيل قراءة الفصل الأول إلى النهاية، أو يقترح عليه مثلاً أن يبدأ بأي فصل شاء، فكتابه من طراز دائري. كأنّنا بتلميذ لاكان يضيف إلى مهمة الكتابة ـ على صعوبتها ـ مهمّة وضع خيارات منهجيّة متاحة للقراءة. فإذا به يحلّل منطق تفكير المتلقي: إذا كنت من المهتمين بالتحليل النفسي كنواة للكتاب فعليك بالفصل المعنون «الاستعادة التأملية». أما إذا كنت ممن يفضلون الذهاب مباشرة إلى المحاور الأساسية، فينصحك صاحب «أربعة دروس في التحليل النفسي» بالتوجه إلى الجزء الأخير وعنوانه «في ما يتجاوز المجتمع».

وإذا كانت شير هايت كاتبة نسوية ودّعت الفرويدية في كتابها الذي عرضناه الأسبوع الماضي، فإننا نبدو في حال أخرى مع فرويد في هذا الكتاب السياسي النفسي. إذ يضع صفوان إصبعه على الطبيعة الديموقراطية العميقة لاكتشافات فرويد الذي ما زال رائجاً في تفسير الرموز التي تحتاج إليها التأويلات السياسية والتاريخية.

قراءة الرموز التي تقوم عليها المنظومة النفسيّة للفرد وبالتالي الأنظمة الاجتماعية والدينية والثقافية الكاملة، قادت صفوان إلى إعادة قراءة فرويد في كتبه «تفسير الأحلام» و«دراسات في الهستيريا» وغيرهما، مستنداً إلى مقولته بأنّ قراءة أيّ رمز لا بد من أن تكون محكومة بالتماسك والانسجام الداخلي الذي يميّز بين محتوى الكامن والظاهر. وبهذا، فإنّ أي رمز لا يفصح عن معناه إلا حين يدرج في سياقه. وإذا جرى استثناء مفسّري الكتاب المقدس اللاهوتيين مثل بولتمان، فإن المفسّرين المعاصرين استندوا إلى منحى فرويد في التأويل. في الواقع، إنّ خطورة الفرويدية في تأويل الرموز تكمن في الطريقة التي يمكن أن تُستخدم بها، فإذا كان فرويد يرى أن كل تعليم من التعاليم هو تعبير عن إرادة تستلزم سلطة تمنحها، فإنه يستثني القتل كأمر ينطق به «فم الإله» صاحب العهد، وكذلك هي حال الكلام الذي يحتاج إلى الاستناد إلى القانون نفسه.

وهنا دعونا نستذكر قولاً لفرويد في كتابه «موسى والتوحيد» حين قال «هناك تشويه يحدث للنص، والصعوبة ليست في تنفيذ الحكم لكن في محو الآثار.. فيجب ألّا تشير فقط إلى تغيير مظهر الشيء، ولكن أيضاً، إحلاله مكان شيء آخر».

هنا يمكن الزعم بأنّ الكيان الإسرائيلي كوّن نفسه وشكّل مصيره من خلال «سلوك الطريق الالتفافي الذي يمر بالإله، وهكذا يمكن استمراره وهويته وبالنتيجة غيريّته وتفرده ليسا في وفائه لتعاليم الله ولا لمحبته، بل للإيمان الذي أقسم عليه». وإذا كانت اليهودية ــ بحسب عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر ــ تقضي على أسطرة العالم لمصلحتها، فإنّ التحليل النفسي يُجهز على هذه الأسطرة. وما يصدق على المرضى في التحليل، يصدق بالقدر نفسه على أحوال الوجود الأخرى. من هنا، قال كولن ماك كابي في مقدمة النسخة الإنكليزية من الكتاب الصادر في أصله بالفرنسية، من أنّ تعبير الكلام أو الموت الذي صدر عن لاكان بمعنى تحليلي نفسي، يحمل في أساسه رسالة سياسية فعلية بين «الذوات وبين الحاكم والمحكوم، متجاوزاً السياسة بالمعنى الشائع وصولاً إلى الديموقراطية الفعلية». وإذا كان لتعبير parlêtre الذي ابتكره لاكان أيضاً أي معنى، فإن تأويله سيكون بالوجود من خلال الكلام، أو الكائن المتكلم، وما يمكن استبداله بعبارة صفوان «الكلام أو الموت»، ونحن بذلك ندخل في لعبة هذا أو ذاك، «لا يوجد بين أي شخصين، سوى التحية أو الضرب بالحجر» يقول صفوان مبيّناً كيف يصبح العنف شرطاً إنسانياً ضمنياً لدى هزيمة الكلام.

عن جريدة الاخبار

في كتابه " السلطة والكتابة " والذي كتبه كمقالات في مجلة " ابداع " التي كان يرأس تحريرها الشاعر احمد عبد المعطي حجازي وقد جمع المقالات واحد من طلبته يلخص لنا صفوان الازمة التي نمر بها كما يقول في جملتين : " الدولة التي تستمد شرعيتها من المقدسات ولذلك تعمد الى المحافظة على بعض الافكار الخرافية وهي تسعى دائما لتعميم الجهل وايضا تسعى الى تحقير لغتها لانها لغة العامة وتجعل كافة الافكار محصورة في لغة الخاصة التي هي الفصحى التي تتخذ صفة المقدس " ، وهو يطالب باحترام اللغة الدارجة، بتعليمها في المدارس : " حينها نربّي لدى الناس احترام لسانهم عبر احترام لغتهم، من غير ذلك لا يمكن أن يحترموا أنفسهم. أكرّر ما قلته من قبل، إننا نعلم الجيل احتقار اللغة، وهذه سياسة الغزاة. لقد كان العرب غزاة، وكلّ الغزاة يفعلون هذا، احتقار اللغة "

ونجده يطبق نظريته في اللهجة العامية على ترجمته لبعض مسرحيات شكسبير ومنها عطيل وكما تهوى ، وكان قد انجز ترجمة لهاملت بالعامية لم تطبع .

في كتابه " التحليل النفسي علما وعلاجا وقضية " يطرح مصطفى صفوان قضية تتعلق بخوف المجتمع العربي من التحليل النفسي فهو يرى ان مجتمعاتنا تعتبر اللاوعي شيئاً مخيفاً : " الشعوب العربية خارجة عن التحليل النفسي خروجها عن الزمن. وإذا تكلمتَ عن الحكومات العربية، هذه الدول لا تتبع إلا النهج التضليلي وأهم شيء عندها هو الاستمرار في نشر الجهل. وأنا أرى أن الدعوة السلفية التي نشأت في البلدان العربية هي أكبر نكبة ألمّت بالعالم الإسلامي، وهي أخطر من الاحتلال الإسرائيلي، ولا يهمها إلا الاحتفاظ بالسلطة والقوة ونجحت في فرض الجهل. يكفي أن تمرّ بالقاهرة بعد اتفاق السادات مع هذه الدول الداعمة للسلفية حتى ترى كمية الكتب المضللة الموجودة في السوق والتي تتحدث عن الجن والشعوذة، من هنا يتضح مدى عدائهم للتحليل النفسي وللعلم ولكل شيء يشكّل خطراً على نفوذهم " .

ويرى صفوان أن النقد بالنسبة للعقل العربي المقولب دينياً وسياسياً واجتماعياً غير موجود وهو مرتبط بعدة عوامل أهمها القمع السياسي الذي تمارسه السلطة على الناس والذي أدى إلى إقصاء الجمهور عن المشاركة في الحياة السياسية . ويعتبر صفوان أن التعصب الديني " هو نتاج فشل الدولة في سياساتها الإنمائية ، وليس الدين بحد ذاته هو الذي يسبب التعصب أو فشل مشروعات الدولة " .وفي الجانب الاخر يرى مصطفى صفوان ان الازمة لاتتعلق بالحكام او الشعب وانما هي ايضا تشمل طبقة المثقفين الذي يرى ان مصيبتهم الحقيقية تكمن في الهوة التي تفصلهم عن الناس ، وانصرافهم عن معالجة هذه المسألة.

نشر مصطفى صفوان العديد من الكتب باللغة الفرنسية بالاضافة الى مقالات نشرها بالعربية وقد ترجم الى العربية عددا من مؤلفاته ابرزها "

"الكلام أو الموت و"أربعة دروس في التحليل النفسي، و"لماذا العرب ليسوا أحرارًا"، و"نحو عالم عربي مختلف"، و"الجنسانيّة الأنثوية"، و"فشل مبدأ اللّذة"، و"السلطة والكتابة"، و "ضيق في التّحليل النّفسي".

يغادر مصطفى صفوان عالمنا بعد ان ملأ الحياة الثقافية الغربية بالكثير من الدراسات والنقاشات التي لم تجد للاسف صداها في المجتمع العربي ، لانها كانت تتسم بالصراحة والكشف الدقيق ، وايضا لانها كانت تشير الى عجز الانسان العربي وهو يرى مجتمعاته تغرق في الجهل والخرافة .. لكن بغض النظر أيضا عن حضوره في المشهد الثقافي العربي ، فان مؤلفات مصطفى صفوان ستظل دليل للمجتمعات العربية التي عليها ان تدرك " : إن حيلة الحياة هي أن نبحث عن آليات تضبط الحاكم كما نجد آليات تضبط المحكوم، وهي فكرة اليونان القديمة نفسها التي بحثت عن «آليات» تجعل الحاكم لا يستبد بالحكم. أن ما نحتاجه كعرب هو في تكوين الشعب الذي يُعجب بالنجاح ويرى في الكسب علامة رضا" .

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني
علي كاطع

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

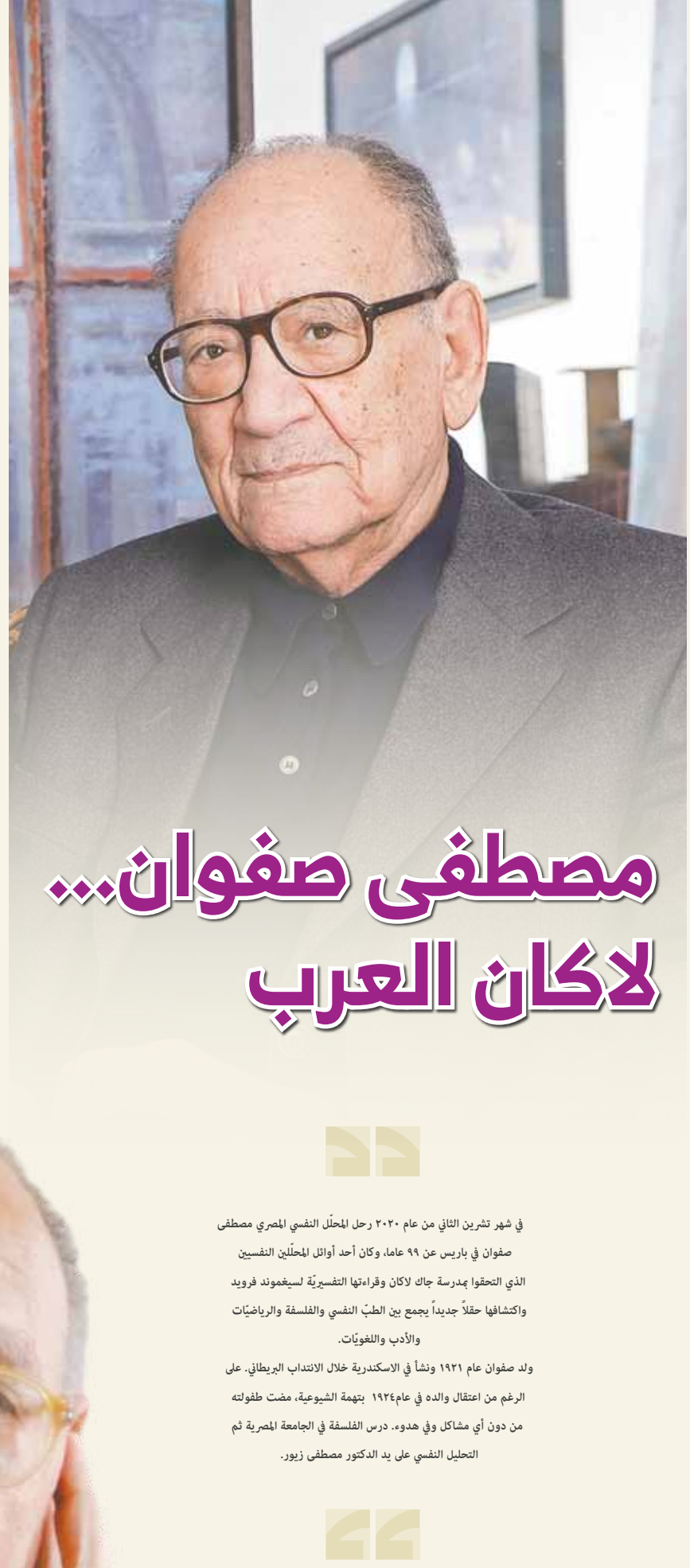

مصطفى صفوان... لاكان العرب

في شهر تشرين الثاني من عام ٢٠٢٠ رحل المحلّل النفسي المصري مصطفى صفوان في باريس عن ٩٩ عاما، وكان أحد أوائل المحلّلين النفسيين الذي التحقوا بمدرسة جاك لاكان وقراءتها التفسيريّة لسيغموند فرويد واكتشافها حقلاً جديداً يجمع بين الطبّ النفسي والفلسفة والرياضيّات والأدب واللغويّات.

ولد صفوان عام ١٩٢١ ونشأ في الاسكندرية خلال الانتداب البريطاني. على الرغم من اعتقال والده في عام١٩٢٤ بتهمة الشيوعية، مضت طفولته من دون أي مشاكل وفي هدوء. درس الفلسفة في الجامعة المصرية ثم التحليل النفسي على يد الدكتور مصطفى زيور.

يقول في مقابلة اجراها معه الراحل بشير هلال ونشرت في مجلة "كلمن": أمضيت طفولة عادية، بين أب متنوّر كان يعمل في التدريس وأمّ كرست حياتها لتكون ربة بيت على تقليد تلك الأيام، لكنها لم تكن محجبّة. وفي المدرسة كنا نتعلم الانكليزية ابتداء من السنة السادسة من العمر والفرنسية من العاشرة والعربية منذ البدء، وكان أساتذتنا في اللغات الأجنبية من جنسيات دولها. كان تعليماً جاداً أهّلني لأتقن عدة لغات.(...) وكانت لوالدي مجموعة من الأصدقاء يمتازون بالظرف، كانوا يجتمعون كثيراً في بعض مقاهي الاسكندرية وقد حضرت بعض اجتماعاتهم عندما أيفعت. وكان وجود المجموعة التي ضمّت والدي في الاسكندرية طبيعياً في جو تميّز في البلد كله بنوع من النهضة وبانتشار شيء من إشعاع الأنوار انعكس بنشوء شلل ومجاميع اعتمدت الظرف طريقة في تناول المسائل التي كان يمكن لإثارتها أن تستدرج أوسع المخاطر لو تمت بطريقة أخرى وفي زمن آخر، ومنها القدح والتجديف.(...) وربّما يعود بعض اهتمامي بكل ما يتعلّق باللغة إلى تلك الأيام والأجواء وما دفعني إلى اختيار قسم الفلسفة لدى مباشرتي دراستي الجامعية عام ١٩٣٩. وشاءت الظروف أن يكون بين أساتذتي يوسف كرم، خريج فرنسا في الفلسفة اليونانية وفلسفة العصور الوسطى، وكان مُتأثراً بخاصة بالفيلسوف واللاهوتي (القديس) توما الأكويني الذي كان يَعتبر تفسيره لأرسطو قمة العقل. واحتوت هذه الفلسفة التي لا تزال بالغة التأثير على العقول نظرية اللغة الموجودة من أيام اليونان والتي كان لها دور في نشأة علم النحو عند العرب. إذ هو علمٌ تأثر بالمنطق الارسطاطاليسي الذي يتلخص بأن اللغة موجودة لتقول ما هو موجود. وكان أستاذي الثاني الدكتور مصطفى زيوَرْ قد قدم من فرنسا غداة انفجار الحرب العالمية الثانية وكان يُدرّسنا علم النفس، وكان الكتاب الذي يعود إليه دائماً شرحاً وتعليقاً كتاب فرويد "علم الأمراض النفسية في الحياة اليومية"، وكان ميالاً إلى استخراج أمثلة عربية مطابقة للأمثلة الفرويدية. ومن تعليمه ذاك لا زلت أذكر حالة شابة التقت جمعاً من الأصدقاء وكانت عائدة للتو من رحلة شهر العسل، وإذ بها تريد أن تحكي لهم عن إجازتها تلك فلا تجد الكلمة. ثم تبيّن أنها أمضت الإجازة في البوسنة التي كان رجالها "الترك" مشهورين بجنسانيتهم. وبمعنى آخر فللكلمة معنيان جغرافي وعشقي، ونسيانها كان دليل احتباس وكبت».

وصل صفوان فرنسا في ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٦ بُعَيْد الحرب، وكانت قد بدأت تصدر العديد من البحوث في اللغة بعد اكتشافات دو سوسير وعلماء الإناسة الأميركيين والفرنسيين وسيرورتهم نحو البنيوية، وبخاصة منهم كلود ليفي ستراوس. في ربيع العام نفسه، بدأ تحليلاً شخصيا سرعان ما تحول على مدار الأيام الى تحليل تعليمي.

شهد صفوان كل الانشقاقات التي اخترقت حركة التّحليل النّفسيّ في فرنسا بما في ذلك حل "المدرسة الفرويدية". وهو من الأعضاء المؤسسين "للجمعية التأسيسية للتحليل النفسي"، في عام١٩٨٣ ، ومن ثم "المؤسسة الأوروبية" للتحليل النفسيّ. وعضو شرفي لجمعيّات تحليل نفسيّة.

صدر له كتاب "لماذا العرب ليسوا أحرارا؟"، الذي يتعرض إلى اشكالية قضية تحرير الإنسان العربي من مختلف ألوان الاستبداد السياسي والديني. تبرز أهمّية هذا العمل الذي يكشف بنى الاستبداد ويحلل آلياته التي وطّدت أركانه، ليس سياسيا فقط وإنما اجتماعياً وثقافياً ولغوياً. ومن أبرز مقوّمات بنى الاستبداد التي يعالجها هذا العمل العلاقة ما بين اللغة والكتابة، وسلطات الاستبداد، وكذلك ما يمكن أن نطلق عليه تسمية اللاوعي الثقافي، على غرار اللاوعي الفردي، والذي يرسّخ علاقة الاستبداد ما بين الحاكم والشعب. يتكامل لدى صفوان همّ تحرير الإنسان العربي من الاستبداد مع تحرّره من الاستلاب الذي تمارسه عليه المكبوتات النفسية.

من كتبه: "الجنسانيّة الأنثويّة"، "فشل مبدأ اللّذة"، و"اللاشعور وكاتبه"، و"الطرح وشوق المحلل"، و"دراسات في الأوديب"، و"الكلام أو الموت"، و"ضيق في التّحليل النّفسيّ"، و"عشر محاضرات في التّحليل النّفسيّ"، و"ندوات جاك لاكان"، و"البنيوية في التحليل وقد أغنى الساحة الثقافية بكتاباته وترجماته، وعلى رأسها ترجمته لكتاب فرويد: "تفسير الأحلام"، الذي عدّه كثيرون من الباحثين بأنّه متفوق على الترجمة الفرنسية لكتاب مؤسس التحليل النفسي. كما ارتبط اسمه بترجمة كتاب "العبودية المختارة" لاتين دي لابويسي.

ترجم صفوان مسرحية شكسبير إلى اللغة المصرية العامية، وكان لديه مواقف لافتة تجاه اللغة الفصحى والعامية، يعتبر ان احتقار الشعب للسانه وسيلة السلطة لكسره، ويقول «أعتقد أنه دون تعليم اللغة العامية ستبقى الهوة بين الثقافة والشعب قائمة وستبقى عملية الخلق الادبي شوهاء. إذ اللغة الأدبية مختلفة ولكنها ليست لغة ثانية، فهي خلق لكنْ خلق باللغة التي تعلم الشعب قواعدها